بعض العوامل الاجتماعية المؤثرة في الضبط الاجتماعي

**القيادة والضبط الاجتماعي:**

**بدءاً نشير إلى أن مفهوم القيادة هنا لا يشير إلى القيادة السياسية أو القيادة التاريخية أو الفكرية فحسب؛ بل نعني به تلك الفعالية التي تقوم بعملية الإشراف والتوجيه والضبط في مختلف مستويات العمل اليومي سواء في مجال العمل والإنتاج أو السياسة أو الفكر أو الرياضة أو الدين وفي مختلف مؤسسات الضبط الاجتماعي.**

**تعّرف القيادةLeadership بأنها سلطة التأثير المباشر التي يمتلكها مجموعة من الأفراد للتأثير المباشر في المستويات الدنيا من العمل في الإنتاج أو الإدارة أو الضبط الاجتماعي، كما أن القيادة دائماً مصدر السلطة، وهذه السلطة إمّا أن تستند وتنبع من صفة القائد الرسمية التنظيمية أو من صفاته الشخصية أو من الاثنين معاً.(1) علماً أن السلطة المستمّدة من الوظيفة يمكن أن تكون قسريّة أو تعسفيّة مثال ذلك حق الحارس في استعمال السلاح أو حق المشرف على العمل في توجيهه بزيادة الأجر، بالإضافة إلى أن الأفراد الذين تنبع من مكانتهم في التنظيم يُشار إليهم عادة بالموظفين أو الضباط " ليس بالمعنى المستعمل في الجيش"، وإنما بالمعنى المستعمل في العلاقات العامة. من جهة أخرى نلحظ أن الأفراد الذين تنبع سلطتهم من خصائصهم الشخصية يُشار إليهم عادة بالقادة طالما إنّ نوع السلطة المعنيّة هنا معيارية توجيهية تنبع من القيم والمعايير السائدة في المجتمع.(2)**

**ويذهب " ستوجدل"Stogdil إلى أن القيادة هي عملية التأثير في أنشطة الجماعة لإعداد الهدف وللحصول عليه. ويرى" تيد"O.Tead أن القيادة" هي ذلك النشاط الذي يؤدي إلى التأثير في جماعة من الناس، حتى يتعاونوا جميعاً من أجل تحقيق هدف مرغوب"(3) في حين يرى "فيدلر"F.E.Fiedler "1922-؟ " أن القيادة "أفعالاً معينة يزاولها القائد من توجيه وتآزر لما يقوم به أعضاء الجماعة من عمل."(4)  أمّا القائد Leader فهو الشخص الذي يمثل مركز سلوك الجماعة، وهو الشخص القادر على قيادة الجماعة نحو أهدافها. وهناك من يرى أن القائد هو الشخص الذي حددّته الجماعة. "والقائد من الناحية السيكولوجية هو الشخص الذي يتلقى الدعم من أعضاء جماعته.(6)**

**إن للقيادة أهمية بالغة في الحياة الاجتماعية على مرّ التاريخ، فالقادة هم الذين يقودون جماعاتهم إلى الأهداف المبتغاة، والمجتمع هو الذي يخلق قادته من خلال ما يوفره لهم من فرص النمو والنجاح، وغالباً ما كانت سلوكيات القادة وتصرفاتهم مثالاً أعلى للسلوك الاجتماعي لما لهؤلاء من تأثير عميق في نفوس تابعيهم. وبسبب هذا التأثير نرى أن بعض الباحثين يرون أن ما حدث في التاريخ من حوادث وتطورات وما نشأ من أساليب سلوكية ونظم اجتماعية كان في أغلب الأحوال نتيجة لأعمال القادة والزعماء وآرائهم وإرادتهم، أي إنّ هؤلاء المفكرين يرون أن التاريخ هو من صنع الأقلية المبدعة وهم بذلك يفسرون التاريخ تفسيراً بطولياً. والتزم بعض الباحثين موقفاً آخر فنظر إلى أن الجماهير وظروفها الاجتماعية هي السبب في تطور التاريخ وظهور الأنظمة المختلفة وانبعاث القادة، بمعنى أن التاريخ هو تاريخ الأمم والشعوب وما القادة والأبطال إلاّ من صنع هذه الأمم والشعوب.**

**وتأثر بعض العلماء بأفكار النظرية الدارونيةDarwism Theory "[[1]](#footnote-1)•" حيث يرون أن الصدفة هي التي أوجدت الرجال العظام كعملية من عمليات الاختبار الطبيعي، في حين كان الوسط الاجتماعي أداة انتقائية هيأت الفرص والمجالات لهم للقيام بالأفعال البطولية.(7)**

**وقد أهتم " فلفريدو باريتو" V.Pareto "1848-1923" بدور النخبة الحاكمة في تاريخ المجتمعات ودورها في تطور المجتمع وأكد على الصراع بين النخب وظهور ما اسماه بـ"دورة النخبة" Circulation of Elite حيث يكون المجتمع هو الأرض الخصبة التي تفرز هذه النخب.(8)**

**أمّا "ماكس فيبر"M.Weber "1864-1920" فقد اعتقد بأن ممارسة القيادة ظاهرة عامة، وأن أغلب العلاقات الاجتماعية لابد وأن تحتوي عليها، وتعني ممارسة القيادة لديه التحكم والتسلط من جهة والخضوع والتقبل من جهة أخرى. وقسّم القيادة إلى ثلاثة أنواع هي:-**

**- القيادة الكاريزميةCharismatic Leadership .**

**- القيادة التقليدية Traditional Leadership.**

**- القيادة القانونيةLegal Leadership .**

**وفي القيادة الكاريزمية تتم ممارسة السيطرة، على أساس أن الشخص الحاكم يتصف بصفات استثنائية غير اعتيادية.(9) فالمجتمع حينما يمر بوضعيات اجتماعية مثقلة بسوء الأوضاع لا يستطيع فيها تحقيق التحوّل الذي هو بأمس الحاجة إليه عن طريق المنطق العقلي الرتيب الذي يتحرك به التاريخ، فحينذاك يسلك المجتمع سلوكاً جديداً وهو ما يسمى بالسلوك الكاريزمي، فيبدأ تحت تأثير الضيق والقلق الاجتماعي بانتظار قائدٍ منقذٍ منقذاً ينتشله من الأزمة ويكون على أتم الاستعداد للالتفاف حول مثل هذا القائد، وفي خلال هذه الفترة ينبثق زعيم من بين الصفوف يمثل إرادتهم فيلتفون حوله ويتعاونون معه على إحداث التحول المقصود، والذي يمثل ثورة على روتين الوضع السابق، وهنا تكون الوضعية الكاريزمية عبارة عن رحلة شاذّة تقطع على التاريخ رتابة سيره المنطقي، ولكن التاريخ يعيد التوازن إلى تياره الاعتيادي عن طريق تحول الوضعية الكاريزمية إلى وضعية روتينية عقلية رتيبة.**

**أمّا في السيطرة التقليدية فيكون الحاكم فيها ملزم بالعادات Tradition والأعراف Mores، في حين أن ممارسة السيطرة المرتبطة بالقيادة القانونية تخضع إلى نظام القواعد العامة.(10) ولكن القيادة الكاريزمية يمكن أن تكون قوة بنّاءة وقوة مدّمرة أيضاً.(11) فهي تدّمر المؤسسات التي فقدت معانيها ومضامينها وتعيد بناء مؤسسات جديدة منسجمة مع العملية الاجتماعية، وما يقال عن السلطة أو القيادة الملهمة يمكن أن يقال أيضاً عن سيطرة القانون أو الاتجاه العقلاني.**

**إذن، تفسير "فيبر" للتاريخ يقوم على الصراع بين الكاريزما كاتجاه لاعقلانيIrrational وعاطفي وسيادة القانون كاتجاه عقلانيRational ويظهر هذا الصراع بين اللاعقلانية والعقلانية مرة أخرى في تفسيره لسيطرة التقليد مرة وسيطرة القانون مرة أخرى.(12)**

**أمّا القيادة القانونية فهي نمط من القيادة يقوم على أساس عقلي رشيد مصدره الاعتقاد بقواعد أو معايير موضوعية وغير شخصية، وتفويض الذين يملكون مقاليد السلطة الحق في إصدار أوامرهم بهدف اتبّاع هذه القواعد والحفاظ عليها، وقد استخدم " فيبر" كلمة بيروقراطيةBureaucracy للإشارة إلى هذا النمط من القيادة أو التنظيم.(13)وهذا النمط من القيادة يشيع عموماً في المجتمع الغربي الحديث، ويستمد شرعيته من التعاقد القانوني.**

**القيادة كوسيلة ضبط اجتماعي:**

**يمكن أن نحدّد دور القيادة باعتبارها وسيلة ضبط اجتماعي على النحو التالي:-**

**1- تعمل القيادة كوسيلة ضبط عن طريق وضع الأهداف للجماعة والتطور بهذه الأهداف مع تطور نموها.(18) إذ أن الجماعة لا تكون منظمة بدون أهداف واضحة حتى يتكاتف جميع أعضائها لتحقيقها، علماً أن الجماعة لا تستطيع تحقيق هذه الأهداف دون وجود القيادة المتمثلة في أحد الأشخاص والذي يكون محور وحدة الجماعة وتجمّعها، والعامل المحرك الذي يلهب حماسها ويفجر طاقاتها وإمكانياتها.**

**2- يساعد القائد في تنفيذ خطط الجماعة وبرامجها وتوزيع المسؤوليات على أعضائها، ذلك أن الجماعة تتكوّن من أشخاص وفئات تختلف في طبيعتها وسلوكها تجاه بعضها، وقد تحدث الصراعات والمنازعات بينهم، وهنا تبرز وظيفة القائد في تحسين التفاعل بين أعضاء الجماعة ودفعها إلى العمل كوحدة منتظمة، وهذا من شأنه أن ينّمي لدى أعضاء الجماعة القدرة على تحمّل المسؤوليات بنجاح.(19)**

**3- يساعد القائد الجماعة في تنظيم قياداتها، فالقائد هو الشخص الذي يحتل مركز المسؤولية الأولى في قمة هرم الجماعة، ولكن لا يكتمل انتظام كيانها دون تحديد وظيفة ودور كل من يقوم بدور قيادي أدنى وهذه المهمة يقوم بها القائد، فالقيادة داخل الجماعات لا تقتصر على مسميات غير وظيفية فلابد من دور عملي واضح لكل من يمارسها.(20)**

**4- تواجه المجتمعات أحياناً وفي فترات التحوّل ظروفاً تكون خالية من القانون لأنها بحاجة إلى قانون جديد، بيد أن هذا القانون لا يمكن خلقه بسرعة في مثل هذه الظروف، وهنا تحل كلمة القائد محل القانون كما هو الحال بالنسبة إلى القيادة الكاريزمية.**

**5- يتضح أثر القيادة في السلوك الاجتماعي إذا ما اطلّعنا على ما وضعه الفلاسفة والمصلحون وأصحاب العقائد من آراء وأفكار أصبحت فيما بعد قواعد للسلوك الاجتماعي.**

**6- القيادة وسيلة للمحافظة على النظام القائم في بعض الأحيان إذا ما عملت في ظل قواعد الضبط والعادات والطقوس والقوانين التي من شأنها الإبقاء على الوضع القائم، وهي وسيلة أو أداة للتغيير إذا ما سلك القادة سلوكاً يوجهون به الأعضاء للالتزام بقواعد التنظيم الجديدة التي يضعونها وصولاً إلى تحقيق الأهداف التي يرفعونها.**

**7- تسعى القيادة من خلال شخصية القائد إلى غرس الانضباط يبين المرؤوسين التي تجعل منهم مطيعين للأوامر بدافع ذاتي وفي مختلف الظروف وبدون وجود رقيب غير ضمائرهم، ويتم ذلك بالآتي:- (21)**

**- تنمية الدافع الذاتي إلى الانضباط من خلال مكافأة المحسن ومعاقبة المسيء.**

**– يكون القائد قدوة حسنة لمرؤوسيه، في تفادي توقيع العقاب الشامل على المرؤوسين لأخطاء اقترفها أحدهم أو بعضهم.**

**- الحفاظ على كرامة المرؤوس وتشجيعه على الاعتزاز بنفسه بالبعد عن العقوبات غير المشروعة مثل الإهانة أو التعدّي.**

**- مراعاة العامل البشري والفروق الفردية في معاملة المرؤوسين فلكل شخصيته وخصائصه المميّزة، فقد يكون توجيه الكلمة المجرّدة هو العامل الرادع والأمثل لتعديل سلوك أحد المرؤوسين، بينما قد يكون العقاب المادي والجزاء الرادع هو الأمثل لآخر.**

**- الحفاظ على النواحي المظهرية داخل الوحدة وخارجها سواء الزي أو العادات أو المظهر العام أو السلوك أو احترام المواعيد.. الخ.**

**- الحزم وعدم التردد في إلقاء الأوامر ومتابعة تنفيذها.**

**- التصرف الحازم تجاه أي مشاحنات أو مشاجرات تتم بين المرؤوسين، ومتابعة سلوك القادة الأصاغر مع المرؤوسين ومواجهة أي مظاهر سلبية في سياساتهم.**

1. "• " نسبة إلى ﭽارلس دارون Ch. Darwin (1809-1882) عالم الطبيعة البريطاني صاحب المؤلف الشهير ( أصل الأنواع). [↑](#footnote-ref-1)